



المرأة هي نواة المجتمع، ومركز عطائه، هي الأم والمدرسة، وهي الزوجة التي تسكن إليها الروح، وهي الأخت الحنون، والابنة البارزة، وهي الحبيبة ورفيقه الدرج والكافح. لم يبالغ نابليون بونابرت حين قال: "وراء كلَّ عظيم امرأة"، ويشهد المؤرخون وعلماء الاجتماع والمفكرون أنَّ مكانة المرأة في مجتمع ما هي مقياس حضارة ومعيار تقدم هذا المجتمع. وإنَّ حدَّ الفصل في إنصاف المرأة هو احترامها وتقديس أنوثتها وحماية شرفها، فالنساء شفائق الرجال، ما أكرمنهن إلَّا كريم وما أهانهن إلَّا لثيم.

ولعلَّ أبرز إنجازات الحركة التصحيحية البعثية في سوريا هو عمليات اغتصاب الحرائر الممنهجة. لقد أدرك الموالون للأسد، رغم انعدام الإدراك لديهم، أنَّ أغلى ما يُحارب فيه الإنسان هو شرفه وعرضه، فت奉نوا في اختطاف الحرائر وتعذيبهن واغتصابهن بسادية وهمجية تكاد لا توصف، فأثبتوا بذلك أنَّهم من فصيلة لا تنتمي للبشر ولا حتى للبهائم والحيوانات، وأشعلوا قلوبنا حقداً عليهم، وجعلونا من حيث لا نريد طلاب ثأر، وعييد نزوة الانتقام. فكيف نرى ونسمع ما عانته الحرائر على يد العصابات المجرمة ثمَّ ننسى ونسامح ونهادن؟ كيف تستطيع أن تناجم جفوننا وترتاح ضمائernا وفيينا فلذات أكبادنا تقطر حزناً وكمدأً وألمًا على ما رأينه من أهوال في سجون ومعتقلات جنود الأسد وشبيحته؟

ذكر الكاتب هادي البحرة قصصاً روتها سيدة سوريا زارت ملاجئ السوريين وأجرت مقابلات مع فتيات تعرضن لحوادث اغتصاب مروعة، قصص يدمى لها القلب، تبدأ من اغتصاب الفتيات على مرأى أبائهن وأزواجهن وأولادهن، قبل اعتقالهن في بيوت تشرف عليها عاهرات العصابات الموالية للأسد، يعملن قوادات لجنوده، يقدمن الفتيات المخطوفات لهؤلاء الحشالة ليتمَّ اغتصابهن وتعذيبهن بعد حقنهن بإبر في الركبة أو الفخذ، تشنَّ حركة الجسم وتمعن المقاومة، ثمَّ يتناوب على الضحية عشرات السفلة، يمارسن عليهن ساديتهن ووحشيتهم في غفلة عن الرقيب وفي مباركة من أسيادهم، وفي غطاء دولي صمت طويلاً حتى غاصت الركب في الوحل.

إحدى الفتيات روت كيف تمّ كيّ عضوها التناسلي بالمكواة الحارة حتى غابت عن الوعي من شدة الألم قبل بدء اغتصابها، وتمّ قذفها خارج المعتقل بعد 15 يوماً منهكة مريضة، وجدها أصحاب الضمائر فقاموا بتهريبها إلى الأردن ليتمّ علاجها من قروح ونزف والتهابات قد تسبب لها عاهة مستديمة، وروت أخرى كيف كانوا يستعملون القطط البرية والجرذان في تعذيبهن، وكيف كانوا يدخلون الجرذان في أعضائهن التناسلية ويتعرضن للعرض والتعذيب والتسمم جراء هذه الوحشية المنقطعة النظير.

وروت سيدة أخرى كيف كانوا يستعملون المنفاخ لنفخ أجسادهن لدرجة الانفجار، ثمّ يتناوبون على اغتصابهن، وقد حشرت العشرات عاريات في غرف التعذيب، في البرد، والقرف، والقذارة، ولم تسلم حتى الفتيات ذات العشر أعوام من إجرامهم. إحداهن تعرفت على مكان اغتصابها في فرع فلسطين بفضل أحد الشرفاء الذي زوّدتها أيضاً بأسماء بعض الجنود المغتصبين. ونظرأً لحساسية الموضوع، في مجتمع تسوده قيم الشرف والحفاظ على العرض، فقد تفاوتت ردّات فعل الأهل حيال حوادث الاغتصاب، بعض الآباء والأزواج والأخوة سيطّر على بصائرهم القاصرة موضوع العار، فحاولوا قتل المغتصبات للتخلص من عارهن، وبعض الأزواج هجروا زوجاتهم وطلقوهن، إما خوفاً من العار أو قرفاً وأشمتازاً لما حلّ بزوجاتهم المظلومات، وبعض الأمهات كنّ من الحكمة بحيث هربن مع بناتهن المغتصبات ولجهن إلى الملاجئ في الأردن ولبنان وتركيا، و ما زلن إلى اليوم يبكيهن بدل الدموع دماء على ما وصل بهن الحال، لا تسمع من شفاههن إلا الدعوات أنّ يا ربّ انتقم من الظالم وخذه أخذ عزيز مقتدر.

بعض النساء ما زلن تحت العلاج الجسدي والنفسي في مراكز رعاية خُصّصت لهن بإشراف سيدات مؤهلات يقمن بدور الأم الحاضنة والمرشدة الاجتماعية والأخصائية النفسية، ورغم كلّ الجهود المبذولة، ما تزال الكارثة الإنسانية أكبر من أن تُستدرك وأفطع من أن تعالج في وقت يسير. وما يزال عدد المغتصبات غير معروض على وجه الدقة، كما أنه في تزايد باضطراد مع تزايد وتيرة القتل والذبح والتنكيل والتعذيب الذي تمارسه طائفة بعينها ضد طائفة اتخذت طريق الثورة للقضاء على جذور الظلم في المجتمع السوري ولينل شرف الحرية من حكم الأنجاس. وأدت هذه الممارسات العفنة إلى مزيد من التباعد بين الطائفتين، وإلى مزيد من التأجيج لحرب أصبحت تقع الأبواب منذرة بشلال من الدماء لن يبقي ولن يرحم أحداً. ورداً على بعض حالات الظلم التي تعرضت لها النساء المغتصبات من قبل ذويهم، يطلّ الشيخ عدنان العرور ليعلن أنّ من تعرضت لانتهاك عرضها على يد شبيحة الأسد هي مجاهدة في سبيل الله، وما اغتصابها سوى تاج شرف على رأسها، وإنّ موعدها الجنة، وحثّ الشباب على التسابق لخطبة هؤلاء الفتيات ونيل شرف الارتباط بهن، وحفظ كرامتهن وشرفهن. وشجّع الصامات على الجراح على البوح والإفصاح من أجل تثبيت وتوثيق حالات الاغتصاب ومحاكمة المجرمين الفاعلين، وفضح أساليبهم الهمجية البربرية، حتى ينالوا العقاب الذي يستحقون.

وثمة جمعيات متخصصة بتوثيق هذه الحالات وتقديم الدعم والرعاية الصحية والنفسية الالزمة لهؤلاء المناضلات الشريفات، فالأولى أن لا ننسك على هذه الجرائم وأن نسعى لمحاسبة الفاعلين بكلّ ما أوتينا من قوة لتكون رادعاً لكلّ من تسؤال له نفسه مسّ الحرائر بسوء وهن سيدات المجتمع الفاضلات ومربيات الجيل القادم في ظلّ سوريا الحرّة الكريمة.

من جهة أخرى، تتوالى الأسئلة المطروحة على طاولة الشرع؛ ما حكم الإجهاض لمن حملت من هؤلاء السفلة؟ يخبرنا الدكتور العريفي عن رسالة وصلته من إحدى حرائر الشام تقول فيها: "إذا عجزت عن حمايتنا من الاغتصاب، فأرسلوا لنا حبوب منع الحمل، لأنّ المجرمين يعيثون فينا فساداً" وقد طال صمت أئمة المسلمين وفقهائهم وعلمائهم حيال هذا الموضوع، رغم أنّ الفتوى فيه لا تحتاج إلى طول تأمل، مؤخراً فقط سمعنا أحد علماء المسلمين يفتى بجواز الإجهاض في حالة الحمل نتيجة الاغتصاب، أفلًا يجدر بنا أن نسألهم "أيّ شرع ذاك الذي يمنع إجهاض الحمل نتيجة الاغتصاب؟" أم أنّ بصائرهم عميّت وعقولهم عجزت أن تستوعب مشاكل العصر وجرائم أبناء يأجوج وأوجوج؟ ووقفت فتواهم عند حدود جمع

وقصر صلاة المسافر، ومبطلات الصيام وحدّ نصاب الزكاة؛ إنْ لم تكونوا أهلاً لفهم معطيات العصر وقياس أحکامها والبُلْ فيها، فالأفضل أن تتركوا الفتوى لأهلهما لأنّ الشرع الإسلامي شريعة حياة قبل أن يكون منهاجاً لطقوس العبادة وأحكامها. والسؤال الذي يُورقنا هنا: هل يرضي أبناء الطائفة الموالية للأسد بهذه الجرائم؛ إن كان الجواب نعم، فقد وضعوا أنفسهم على قوائم نار الانتقام التي لن ترحمهم، وهم يعلمون حقَّ العلم أنَّ الثورة السورية ماضية رغم كلِّ التضحيات والآلام وأنَّ النصر حليف المظلومين مهما طال الزمن، وستدور الدوائر على رؤوسهم إنْ عاجلاً أمْ آجلاً، فمن ارتضى الذلَّ لغيره، فقد أعطاه العذر أن يزجّه في طوفان الثأر القادم. ومن كان فيه ذرة من الشرف والضمير ويستذكر ما يحدث، فعليه أن يعلنها صراحة، وينأى بنفسه عن دعم وموالة الحالة من المجرمين، ويحفظ لنفسه مكانة بين أبناء هذا الشعب السوري العظيم، واعلموا أيّها الشرفاء، أنَّ كلَّ يوم يتأخر فيه انضمامكم إلى قافلة الثورة، يزيد عدد الضحايا، وتزيد الهوة التي تفصل بيننا وبينكم. وقدْ أُعذر من أنذر.

المصادر: